
النادي الأدبي بمنطقة الباحة
١٤١٥هـ
وزارة الثقافة والإعلام
عبدالعزيز صلاح الظاهري
شيء أفتقده
مؤسسة
الانتشار العربي

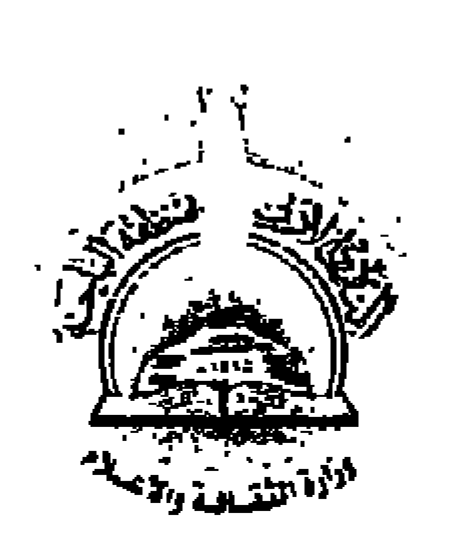
مطبوعات نادي الباحة الأدبي

شيء أفتقده

عبدالعزيز صلاح الظاهري

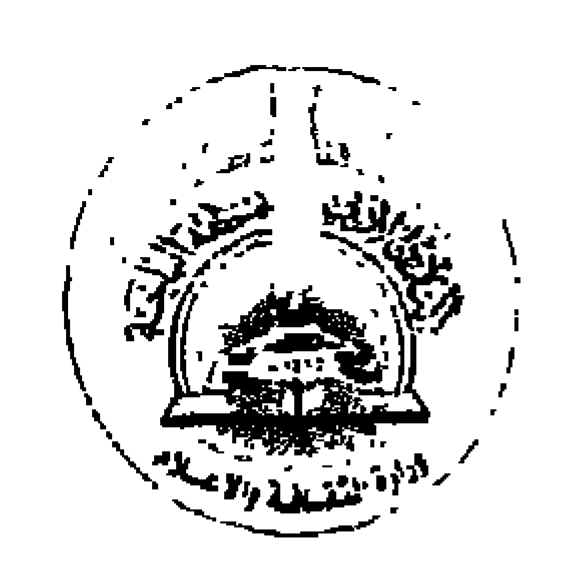
0504666259
aziz-wish-1958@hotmail.com





عبدالعزيز صلاح الظاهري

شيء أفتقده



النادي الأدبي في منطقة الباحة
المملكة العربية السعودية
www.adbialbaha.com



ص.ب: 113/5752
E-mail arabdiffusion@hotmail.com
www.alintishar.com
بيروت - لبنان
هاتف: 9611-659148 فاكس: 9611-659150

ISBN 978-614-404-216-8

الطبعة الأولى 2011

المحتويات

شيء أفتقده

المجهود العضلي الذي يعتمد على الحركة يصدر صوتًا يعبر عن نفسه والمال يسعده.

أما المجهود الفكري فهو ساكن لا يصدر صوتًا لذا يحتاج إلى من يعبر عنه، فالمدح والثناء يطربانه.

المؤلف

لحظة تأمل

في صباح يوم من أيام الخريف، ومن إحدى ضواحي المدينة، خرج رجل ظهر عليه الكبر رغم أنه في الخامسة والأربعين من عمره، وأسدلت الهموم على رأسه بياضًا يحمل اسم الصفاء والبراءة، ولكنه في هذا الموضع فقط هو مكروه وقاتل، و يحمل صفة النار التي تحول الأغصان الخضراء إلى لون ينذر بنهاية حياة هذه الشجرة، وقتل أزهارها.

ولم تتوقف هذه الهموم عند هذا الحد، بل اعتدت على أسنانه، وأخذت بعضها فانتزعتها.... لتجعله حبيسًا لأطعمة معينة ومحدودة.

وقد أخفت ابتسامته، التي أصبحت تحرجه، فلم يعد يتمنى أن يسمع طرفة أو أن يعبر عن سعادته.

إنه ممنوع حتى من التعبير عن اللحظات السعيدة التي نادرًا ما تحدث.

خرج ذلك الرجل الذي يدعى ـ حسان ـ والتفت يمنة ويسرة، ثم اتجه بسرعة إلى سيارته القريبة جدًا من باب بيته.

أدار المحرك وانطلق بسرعة، وإذ بأحد جيرانه يشير

إليه مبتسمًا طالبًا منه التوقف، فضغط على فرامل السيارة بقوة وأوقفها، ثم فتح نافذة سيارته وقد ضم شفتيه وأفرد وجنتيه محاولًا الابتسامة، ليشعر جاره بمدى فرحته وسعادته لمقابلته، ولكن عجزت عيناه عن القيام بهذا الدور، فلا يمكن أن يبسط عينيه، وتمنى أن لو كان يضع نظارة سوداء لتخفي ما تحمله عيناه من رسائل.

فقد أحرجته تلك العينان كثيرًا رغم صغرهما وغورهما.

فسأله جاره مبتسمًا، ولقد قرأ حسان عيني جاره وعلم أنه غير مرحب به، وأنه مصدر إزعاج له ورغم ذلك لم يمنعه هذا من السؤال:

- ما شاء الله! على وين؟

- هاه... لا أعلم.. خرجت فقط، أحس بضيق....

- وأنا مثلك، أتريد أن أشاركك؟

- لا.. عفوًا.... أنا في عجلة من أمري، لدي موضوع مهم.

- طيب مع السلامة...

تدارك حسان نفسه فقال: ولكن أي خدمة؟

فنظر إليه جاره بابتسامة ملؤها الخبث، وحاجباه يعلوان ويهبطان وكأنهما جناحا غراب...قلت لك مع السلامة...

انطلق حسان بسيارته وهو يشعر بضيق شديد يمزقه،

وضغط على دواسة السرعة وهو يجتاز المطب تلو المطب وما أكثر المطبات، ومن فوائدها أنها تساعد على التخلص من موجات الغضب...

وهو يصرخ.. لماذا.. لماذا لا يتركونني وشأني.. أين أنت ذاهب؟ من أين أتيت؟ ماذا عندك؟ سلامات؟

وبعد هذه العبارات والجمل تعوّذ بالله من الشيطان.. واستغفر الله.. ورفع قدمه عن دواسة البنزين وبدأ يقود بهدوء وهو يسأل نفسه ويلتفت.. أين أذهب..؟ وأخيرًا اتجه إلى أحد المخططات، الذي بنيت أجزاء منه وبقيت أجزاء كمتنزهات موقتة لأهل المدينة وضواحيها...

واتجه بمركبته إلى أحد أركان ذلك المخطط وهو ينظر إلى أشجار السرح والسمر وهي تهتزّ وتتراقص بظلالها، وكأنها تغيظه، فكم تمنى أن يجلس تحتها ويستمتع بظلالها الوارفة ويستمع إلى أصوات العصافير وهي تشدو وتغني وتتراقص...

ولكن أكوام التراب والأسلاك تمنعه عنها.. وهو يقول ليت الأيام الخوالي تعود...

لقد زاد الناس غنًى وزاد جشعهم.. لقد مُنعنا من الصحراء.. فكيف الحال لو كانت هذه بساتين..؟

ماذا سيحدث...؟

ونظر إلى الموقع الذي اختاره للجلوس، وهو عبارة عن فسحة رصفت بالإسفلت حسب التخطيط ستكون حديقة...

وتساءل قائلًا: إنها التكنولوجيا.. حدائق على الإسفلت؟ ولا شيء مستغربًا؟ العلم قادر على صنع المعجزات!!

ونظر إلى ما فوق ذلك الإسفلت، إنها أشياء تتحرك وتتراقص وتحدث أصواتًا لكنها مزعجة ومن صنع الإنسان..

أكواب من البلاستيك وأخرى ورقية، وموائد طعام ترفرف وفوقها أكوام مما لذ وطاب من لحوم وتلال مبعثرة من الأرز من شتى الألوان، وأخرى ثابتة بعضها وضع في الأركان وأخرى رميت عشوائيًا.

إنها أشياء تخص الأطفال، إضافة إلى بعض الألعاب، دمية كسر رأسها وأخرى نزع لباسها وتلك كسرت ساقها ورميت بعيدًا عنها...

وسيارة نزعت إطاراتها، وطائرة تحطم أحد جناحيها ولم يبق منها إلا إطارها الأمامي.. وأحذية أطفال تركت متناثرة، أزواجًا وفرادى..

وأكياس بلاستيكية أوقفها الرصيف ترفرف محاولة الطيران والهروب من هذا الكمين.

وبين هذا الحطام المتناثر هناك عدد مهول من علب المشروبات الغازية، بعضها كان واقفًا والآخر متكئًا لم يستطع التحرك من ثقل ما فيه، التخلص من محتواه، بينما هناك عدد قليل يدحرجه الهواء يمينًا وشمالًا فيصدر أصواتًا وكأنه يغني فرحًا، بعد أن تخلص من ذلك السائل الذي أثقل كاهله.

وما هي إلا ثوان وإذ بأسراب من الغربان والحدءات تحلّق.. وما لبثت الغربان أن هبطت أولًا بينما قامت الحدءات ببعض المناورات... وأخيرًا قررت النزول بعد أن تفحصت الموقع...

واتجهت بسرعة نحو الولائم، متدافعة متصارعة بينما ظلت الغربان بعيدًا تنتظر.

وبينما حسان يمتع ناظريه بهذه المناظر التي تساعد على التأملات، رأى أحد عمال النظافة متجهًا نحو الموقع يحمل بيده كيسًا وباليد الأخرى حديدة على شكل عصا رأسها مدبب.

وعندما وصل إلى الموقع بدأ يضرب الأكواب بهذه المسلة ويضعها في الكيس البلاستيكي، وهو ينحني باحترام لحمل علب المشروبات الغازية ووضعها في كيس آخر بعد تفريغها من محتواها.

أحس حسان بالحزن تجاه هذا العامل كيف سيتخلص من هذه الفوضى...؟

ولكن العامل بمجرد انتهائه من حمل آخر علبة رحل إلى موقع آخر تاركًا الموقع فارغًا من أي علبة، وما تبقى تركه للطبيعة كي تتخلص منه، وبمجرد ابتعاده عادت الغربان والحدءات إلى الموقع وإلى ولائمها، التي لم تتمتع بها، حيث هاجمت مجموعة من الكلاب الوليمة، ورغم توافرها وكثرتها وتباعدها بدأت الصراعات فيما بينها.

وهذه المناوشات أخافت وأزعجت الغربان والحدءات التي أقلعت وتركت الساحة للكلاب.

تساءل حسان، إن هذه الفوضى حصلت في ليلة واحدة سترتها العتمة وشجعتها، ولكن لماذا يُظلَمُ الليل؟ ولماذا يُصوّر البوم والخفافيش وغيرهما مما يعيش فيه وكانه رمز الشؤم؟.

فالليل هو مكان ومقر الرومانسية، إذ يتزين بالنجوم والقمر لمحبيه وعشاقه، ويفتح أبوابه لهم ويسترهم بين أسواره ويقدم لهم الهدوء والسكون، ليطيب السهر وتتعانق الكلمات، وهو الوقت الذي يتعبد فيه العابد ويتقرب فيه الصالحون من مالك الأرض والسماوات، فقد نام البشر وتوقف معهم النشاط والعمل...

وهو الوقت الذي يلجأ إليه من أشقاه النهار وأتعبه...

وأما سكانه فهم لم يختاروا أن يكون الليل معاشهم والنهار سباتهم...

لقد ظُلم الليل وسكانه، لقد ألصق البشر به التهم جزافًا.. وجعلوه شماعة لأخطائهم وسوء أعمالهم..

وتوقف هذا التساؤل عندما أطلت أشعة الشمس الحارقة على حسان، وتجاسرت على الجلوس بجانبه، داخل سيارته، عندئذ أدار محرك سيارته واتجه مسرعًا إلى منزله... وبمجرد دخوله اتجه إلى غرفة الجلوس وفتح التلفاز وبدأ يقلب قنواته...

أخبار.. لا جديد...

رياضة.. نتائج لا تسر...

أفلام.. خيال علمي، اكشن، كله مكرر.

ورأى قنوات تسمي نفسها كوميدية... عندئذ قال: نعم كوميديا... دعنا نبهج النفس، فإذا على إحداها فليم حزين.. وعلى الأخرى مسابقة...

وبسرعة أقفل حسان جهاز التلفاز، ورمى بجهاز التحكم بعيدًا واتجه إلى غرفة نومه، وبدأ بتحضير حقائبه وهو يردد رغم أن الوقت غير مناسب... ولكن يجب أن أذهب إلى القرية لعل النفس تستقر وأعود إلى العمل...

مهد النخيل

بين سلسلتين من الجبال الدكناء، التي كانت خليطًا من الأحجار السوداء والتراب، امتد وادي الخير، ممر مياه الأمطار، التي فضلت الهجرة إلى المكان الذي أحبته وهو البحر، حيث موطنها، بعدما انتزعتها قوة الشمس من موطنها الذي أحبته.

وعلى جانبي هذا الممر تناثرت القرى، التي كان اعتماد سكانها على زراعة النخيل، وبما أن الوقت الآن في نهاية الخريف، فإن سكان هذا الوادي يُعتبرون جزئيًا في إجازة.

فقد انتهى موسم القطاف بالنسبة إلى أشجار النخيل، ولم يعد لديهم سوى رعايتها بسقيها على فترات زمنية متباعدة، وتخليصها من الألياف القديمة، وتخليص الجذوع من بقايا التمور الجافة، التي دخلت بين أجزاء جذوعها، خوفًا من غزو الحشرات، التي تسبب أمراضًا للنخيل..

وفي إحدى القرى التي تدعى (مهد النخيل)، جلس الأخوة الثلاثة: شداد وسلمان وسالم... وجميعهم ناهزوا الستين عامًا، تحت ظل نخلة تم اختيارها من بين النخيل...

تتوسطهم قصعة من التمر الفاخر، وكان أصغرهم يقدم لأخويه القهوة العربية..

وكان حوارهم عن ابن أخيهم الأكبر «حسان».. الذي كان شغلهم الشاغل.

قال الأخ الأكبر وهو شداد: هل يعلم أحد سبب وجود حسان في هذا الوقت؟، فنحن نعلم أنه يأتي كل عام في الصيف ليحتفل بموسم القطاف..

فأجاب أصغرهم وهو سالم: نعم، ليست عادته! والغريب أنه لا يغادر منزله إلا بعد العصر..

شداد: هذا الولد سبب لي القلق، لقد تجاوز عمره الخامسة و الأربعين ولم يتزوج بعد، أو حتى يفكر في الزواج..

إضافة إلى ذلك فأنت لا تستطيع أن تنزع منه جملة أو تحصل على إجابة، فهو مشغول فقط بهذه القصص «اللخابيط» التي يكتبها والتي لا تؤكل عيشًا...

سالم: لا تنسَ يا أخي أنه موظف وهذه الكتابة على قول ابنك سعد مجرد هواية..

التفت إليه شداد وهو منفعل قائلًا: لا.. ليست هواية لقد شغلته عن كل شيء.

لم أدخل عليه يومًا من الأيام إلا ووجدت القلم في يده وهو شارد الذهن، وإذا ما سألته ابتسم لك، وإجاباته مختصرة جدًا.

ليست لديه القدرة على الكلام، فكلماته وفكره التهمتهما تلك الأوراق أو القصص حسب قولك..

أحيانًا أحس أنه..... أستغفر الله..

وتقول هواية، وكأن الأمر لا يعنيك؟.

لا تنسَ أن هذا هو ابن أخيك عطية الوحيد الذي وقف معنا ورعانا وأصبحنا بفضله بعد الله رجالًا..

فرد عليه سلمان: ومن قال أننا نسينا ابن أخينا؟ ولكن ماذا نفعل؟ فلقد عرضنا عليه بناتنا، هذا إذا كنت تقصد موضوع الزواج، ولكنه يكره هذا الموضوع ولا يحب سماعه، ولا يسمح لأحد أن يناقشه فيه.

فرمى شداد فنجان القهوة من يده وارتفع صوته... تقصد أننا نستسلم للأمر الواقع..

هل تعتقدون لو أن عطية حي بيننا سترضيه هذه الإجابة.

لا بد من إيجاد طريقة حتى لو نرغمه، إنني أحس بالحرج عندما يسألني أحد عنه، أو عن سبب عزوفه عن الزواج، ماذا أقول؟.. ماذا أقول؟.. لا حول ولا قوة إلا بالله.

سالم: لدي فكرة، ولكن الموضوع يحتاج إلى حيلة وكذب، ونظر إلى سلمان.

فقال شداد بانفعال: ماذا تقول؟ حيلة وكذب! افعل

أي شيء، ألم تسمعني؟ لقد قلت حتى لو مرغمًا على الزواج..

عندئذ نظر سلمان إلى سالم وقال: أراك حين أتيت على ذكر حيلة وكذب نظرت إلي؟

إنني معكما إذا كانت هذه الطريقة تريحنا من هذا القلق، ولكن ما هي؟

سكت سالم قليلًا ثم قال: لن أتحدث عنها، ولكن إذا نجحت فسوف ترون نتائجها....

أرجوحة

في وسط المنازل التي بنيت من الطوب فوق الهضبة المطلة على النخيل، يوجد منزل بني من الطين أعيد ترميمه، وقد وضعت عليه لمسات من حضارات مختلفة، حيث كبرت نوافذه واستبدل الخشب بزجاج، وزين بالقرميد وأضيفت إليه ساحة كبيرة يفصلها عن المنزل ممر زين بالأقواس...

وأزيلت الغرف الصغيرة واستبدلت بغرفة جلوس كبيرة، احتوت على مجلس شرقي وآخر غربي، فصلت بعدد من الدرجات... وبهو ينتهي بمطبخ صغير للخدمات...

وفي أحد أركان هذه الساحة كانت عريشة عنب بجانبها شلال صغير بالقرب منه طاولة وكراسٍ مصنوعة من الخيزران، وأرضية رصفت بالأحجار على الطريقة الرومانية...

بينما وضعت أرجوحة في وسط الساحة، وزينت الساحة بأنواع من الأزهار والورد...

إنه منزل حسان الذي كان نائمًا وقد أيقظه طرق الباب الذي كان يعلو تارة وينخفض أخرى وترافق ذلك الطرق أصوات أطفال، وحركتهم تهزّ الباب الخشبي... إنهم أبناء

عمومته الذين يحبهم ويحبونه ويبحثون عن أي سبب لزيارته...

وها هو موعد إفطار حسان، رغم أن الوقت هو الظهيرة..

فتح حسان الباب وإذ بثلاثة أولاد وأربع بنات، أعمارهم بين الخامسة والسابعة، أحدهم يحمل صينية الإفطار والآخر يحمل الخبز والثالث يحمل إبريق الشاي والأربعة الآخرون وهم الأصغر سنًا ملتصقون بهؤلاء الثلاثة، ينتظرون أن يسمح لهم حسان بالدخول...

ابتسم لهم حسان وحيّاهم، وهم بدورهم بادلوه الابتسامة بخجل، وكانت ترافق تلك الابتسامة ضحكات بريئة، وحركات متكررة تهز مَن أمامهم وتهدد بسقوط تلك الصينية والإبريق..

بادر حسان بأخذ الصينية والإبريق منهم وأدخلهم، وما أن دخلوا حتى اتجهوا مسرعين نحو الأرجوحة التي تتوسط فناء المنزل وجلسوا فيها بينما وقف أكبرهم ينظر إلى حسان وإلى الأرجوحة، فطلب منه حسان أن يجلس معهم ويشرف عليهم ولقد أنقذه عرض حسان من الإحراج...

وأسرع بدوره في مشاركة الصغار الآخرين....

وأخذ حسان الصينية وإبريق الشاي إلى الطاولة قرب الشلال الصغير، وبدأ بتناول إفطاره وهو يراقب الأطفال، ويبادلهم الضحكات والابتسامات... وفي هذه الأثناء طُرق الباب وسمع صوت عمه سالم وقام حسان لفتح الباب.....

رقصة الحبارى

فتح حسان الباب لعمه سالم الذي استوقفه منظر الأرجوحة ومن بداخلها فقال:

انظر إليهم يا حسان إنهم في غاية السعادة، يجب علينا شراء واحدة..

وأشار إلى «الأرجوحة»، وقال: ما قيمتها؟

حسان: إنها بـ «5000» ريال...

سالم: فلنجلس، إن لدي موضوعًا أريد أن أحدثك فيه.. فأجابه حسان: خير..... فقاطعه عمه قائلًا: خير إن شاء الله...

الموضوع يا بني هو أن عمك سلمان مشغول الفكر حزين منذ مدة، ولقد استطعت أن أصل إلى سبب هذا الحزن العميق، وعرفت أنه يفكر في ابنته سلمى، فقد تجاوزت الثلاثين من عمرها...

والأمل في أن يأتيها خاطب في هذا العمر ضرب من الخيال...

إننا كعائلة واحدة يحزننا ما يحزن أي فرد من هذه العائلة... وهذا هو الشيء الطيب الذي يميزنا عن الآخرين،

لقد تزوج أبي جدتك رمثة رغم أنها تكبره سنًا، لقد تزوجها لأنها بنت عمه وليس لها من يرعاها..

كذلك قام أبوك برعايتنا وتزويجنا، وضحّى مثل جدك من أجل هذه العائلة....

ولعلمي أنك مضرب عن الزواج، وذلك كما تقول لانشغالك، فهذه فرصة لك ولنا، فزواجك بابنة عمك وهي في هذا العمر لن يتطلب منك التفرغ، فهي امرأة كبيرة في السن وباستطاعتها رعاية نفسها..

وبذلك تكون قد ضربت ثلاثة عصافير في وقت واحد، أولًا أرضيت عمك شداد الذي يكره أن يراك بدون زواج، ثانيًا أسعدت عمك سلمان وثالثًا سترت ابنة عمك الضعيفة...

فقاطعه حسان قائلًا: إنني أحس بالإحراج منك.. ولكن لا يعني أن سلمى كبيرة أنها لا تحتاج إلى زوج مشغول لا يهتم بها أو يشاركها..

فقاطعه عمه قائلًا: ماذا تقول؟ يشاركها... وكأنك لست من هذه العائلة، إلا إذا كنت تقصد شيئًا آخر..

فأجاب حسان بسرعة: لقد ذهبت بعيدًا يا عم، أنا والحمد لله ليس لدي قصور فيما تفكر......

فتبسم سالم وبدأت عليه علامات الفرج وقال: إذًا توكلنا على الله.... على فكرة ألم تر يومًا الحمام...؟

إن الحمام يرقص ويدور حول نفسه ويصدر أصواتًا وذلك من أجل التزاوج...

ألم تر الحبارى كيف تكسر رغبتها وتتمايل وكأنها مخمورة...؟ وكذلك كل المخلوقات، إنها سنة الحياة... وهذا لا يمنع الإنسان أو أي مخلوق بالقيام بأي نشاط آخر... أليس كذلك يا بني؟؟

وأراد سالم أن يتابع حديثه ولكنه لاحظ أن حسان كان شارد الذهن يقلب عينيه....

عندئذ قال في نفسه صدق شدّاد إن هذا الولد به مس...

فصرخ سالم غاضبًا فقد كره أن يرى ابن أخيه مخبولًا وأراد أن يخرجه مما هو فيه وقال: ها.. ماذا قلت؟.. ها....

موافق... نظر إليه حسان وقال بغير وعي: ها.. موافق.. نعم... موافق.. فوقف سالم من شدة الفرح وبدأ يغطرف مثل النساء وذهب باتجاه الأطفال الذين كانوا مذهولين منه، وأخرج ما في جيبه من نقود وأعطاهم إياها وهو يقول: اذهبوا واشتروا ما تريدون... فسأله أحد الصبية: لماذا تُغطرف مثل النساء؟

نظر سالم إلى الصبي والفرح بادٍ عليه وقال: لا يهم من أكون اليوم، إنه يوم الفرح...

نعم إنه أجمل يوم في حياتي إنه يوم السعد، عما

قريب سوف نحتفل بزواج حسان وسلمى، اذهبوا وبشروا الجميع....

خرج الأطفال مسرعين وسالم يجري خلفهم وكأنه طفل... في هذه اللحظة صُعق حسان مما سمع وأخذ يصرخ: يا عم سالم... يا عم سالم...

ولكن سبق السيف العذل فقد اختفى سالم مع الأطفال، لقد اختفوا تحت النخيل، وما هي إلا لحظات وإذ الوادي بأسره تصدر منه الزغاريد...

فوقف حسان مذهولًا... وهو يردد: ماذا قلت؟ كيف أخرج من هذه الورطة؟ وظل على هذه الحال وهو يفكر حتى سمع صوت الباب وهو يطرق، فاتجه نحوه بسرعة، وإذا ابن عمه سعد والفرح بادٍ على وجهه، فبادره قائلًا: أخيرًا... أخيرًا... اتخذت القرار؟؟

انظر إلى القدر لقد تجنب الناس خطبة سلمى لعلمهم أنها لك....

مسكينة هي سلمى أتمنى أن أراها الآن، أتمنى أن أشاهد فرحتها هي والعم سلمان...

فقاطعه حسان: على رسلك... أنا لم أطلب يد سلمى في يوم من الأيام... وإذا كان هذا القرار اتخذ من غيري فأنا لست مسؤولًا عنه...

لا أعلم ماذا أقول لك، هل هناك طريقة للخروج من هذا المأزق...؟ فأنا في ورطة... إن لدي مخططات أهم من الزواج...

فرد عليه سعد: ولكن كيف وافقت..؟

فقال حسان: وافقت... تعلم أني أكره الكلام الكثير، فأنا لا أجيد الاستماع وخصوصًا إلى المواضيع التي لا تهمني، والعنوان الذي كان يتكلم عنه العم سالم كان مبدئيًا مرفوضًا لدي، فزمن الرومانسية انتهى...

فاستوقفه سعد وقال: ماذا تقصد بالرومانسية...؟

فقال له حسان: إنني أقصد محاولته إقناعي بالزواج بسلمى، والتضحيات التي قدمها أبي وجدي، إنها قصة طويلة لا أحب الحديث عنها...

المهم أن العم سالم ساق لي بعض الحكم والقصص عن أهمية الزواج لجميع المخلوقات، وكنت أنتظره فقط كي ينتهي لأقول له رأيي... ولكن قصة الحبارى واستعراضها عند التزاوج وطريقتها في لي عنقها ودورانها حول نفسها جعلني أسبح في الخيال...

فلم أصحُ إلا والعم سالم يقول: ها... ها... ماذا قلت.. موافق؟ عندئذ قلت وبدون وعي: نعم... نعم... موافق.. هذه هي كل الحكاية...

نظر إليه سعد مبتسمًا: وما قصة الحبارى، والخيال الذي أوقعك في هذا المأزق...؟؟

صمت حسان برهة ثم قال: أنت تعلم أنني شاركت في أكثر من مسابقة محلية برواياتي على أمل أن أفوز بواحدة، وجميع تلك المحاولات باءت بالفشل...

والسؤال الذي كان يحيرني دائمًا هو كيف يفوز مؤلف بجائزة أدبية؟ هل هو الحظ؟ أم العمل الجيد؟

قد يقول قائل: إن العمل الجيد هو ما يفرض نفسه... ولكن هناك الكثير من الشعراء والفنانين والكتاب رغم عملهم المتميز لم ينجحوا، وبعضهم تم اكتشاف أعمالهم بعد وفاتهم.... إذًا هل هو الحظ...؟

نعم أعتقد ذلك، ولكن ليس باستطاعتي الجزم... حتى لا أشكك في إنجاز الآخرين...

والسؤال: ما هي الأسس التي يتم عن طريقها اختيار النص الأدبي؟ هل هي شهرة المؤلف؟ أم علاقاته؟ أم الموضوع المناسب..؟

في المقابل كيف يقرأ أعضاء اللجنة هذا النص ويقومون بنقده إذا كان عدد المشاركين كثيرًا...؟

إنه أمر صعب.. إنه يحتاج إلى أكثر من حظ، إنها معجزة أن يفوز مغمور بهذه الجائزة، هذا إذا كنا نتكلم عن الجوائز المحلية، فما بالك بجائزة عالمية؟ حيث يفوز شخص واحد في العام بين سكان الأرض قاطبة...؟

سيكون مثل أرمسترونغ عندما مشى على القمر؟؟

فقاطعه سعد قائلًا: إنك تكره أن تستمع إلى أحد، وأراك أطلت ولم تجبني عن سؤالي، الحبارى... الحبارى... ما هي قصتها؟؟

فوقف حسان وقال: نعم.. الحبارى باختصار لقد كسرت عنقي...

إن على المرء أن يظهر نفسه.. أن يرقص ويصرخ حتى لو كسر عنقه مقابل أن يراه الآخرون، وهذه هي الجملة التي سمعتها من عمي بوضوح... سوف أوصل رواياتي إلى كل شخص في هذه الأرض، قبل أن أتقدم للاشتراك في أي جائزة أدبية...

فقال سعد: وما هي الطريقة؟؟

توقف حسان قليلًا ثم قال: هناك طريقة واحدة.. ولكن المهم كيف أتخلص من هذا المأزق؟؟

فقاطعه سعد: تقصد الزواج..؟

إن الاحتفالات قد بدأت لذا فإني أهنئك مقدمًا.. ألف مبروك... وعليك مرافقتي للاحتفال معهم.. وأخذ سعد حسان من يده وجره جرًا وخرجا...

القدر

لقد خطط البشر وأيدهم القدر، وما كان مستحيلًا أصبح واقعًا، فالقدر يختار الزمان والمكان، وما على الإنسان إلا المثابرة والعمل وانتظار الأمل..

ولكن السؤال: هل العمل مطلوب أم أن القدر لا يحتاج إلى تذكير أو طلب...؟

إنها السنن... إنها كلمات... إنها تساؤلات... ولكن يبقى القدر ويفنى البشر... وتبقى السنن وتهلك الكلمات والتساؤلات ويفنيها الدهر لأنها من صنع البشر...

والمهم أن أهل الوادي احتفلوا بزواج حسان بابنة عمه سلمى وابتهج أفراد العائلة بهذا الزواج..

وأخيرًا تزوج حسان وأزيح الثقل الذي كان على كاهل أعمامه ولم يسأل أحدٌ عن سبب هذه القناعة المتأخرة لحسان حتى من عميه..

ولم يُسأل سالم عن كيفية إقناع ابن أخيه، لقد منعهم وأسكتهم القدر كما أخضع حسان ونزع منه كل كلمة تؤدي إلى العصيان أو التمرد والرفض...

ومرت الأيام متتابعة، حتى جاء اليوم الذي انتظره الجميع بفارغ الصبر... لقد عاد عطية!!!

فقد أنجبت سلمى لزوجها حسان ولدًا سماه (عطية) على اسم أبيه، مما أبهج أعمامه وأحسوا أنهم أدوا رسالتهم المفروضة عليهم، وها هو اسم عطية يتردد صداه داخل الوادي من جديد، لذا قام شداد بذبح الذبائح، وأقيمت الولائم لمدة ثلاثة أيام، إكرامًا لهذا المولود الجديد وشكرًا لله على هذه النعم.....

وبعد أن قضي الأمر ورفعت الغشاوة التي على البصر أفاق حسان وتساءل عما جرى وماذا حصل؟ ولكن حلمه القديم عاد ونهض وطغى وارتفع.

بائعة المراوح

دخل حسان بيته فوجد زوجته جالسة بالقرب من ابنه حاملة إحدى قصصه وهي (في مكان واحد ولكن!)...

منهمكة في قراءتها وهي تتلكأ، وحسب معرفة حسان بها أنها أمية لا تقرأ ولا تكتب، لقد فاجأه هذا الأمر وجلس بالقرب منها...

وقال: إنه لشرف لي أن تقرئي لي ولكن... فقاطعته سلمى وقالت: لقد أحببتك وأحببت قصصك، وكنت أتابع ما تكتب، وذلك بحمل أي قصة تصدر لك إلى أحد إخواني أو بنات عمي لقراءتها، وأخيرًا قررت أن أتعلم وطلبت من إخواني وبنات عمي تعليمي، ولكن تعليمي أخذ وقتًا طويلًا، فكيف أكون زوجة لكاتب وأنا أمية.....

وللعلم فهذه المرة السادسة التي أقرأ فيها هذه القصة... إنها جميلة ومؤثرة....

إنني عندما أتصفّحها أحس أنك جالس بقربي تكلمني...

سألها حسان: وماذا عن القصص الأخرى...

فقالت: إنها جميلة... ولكن هذه أحببتها... وقد

يكون السبب أنك كتبتها بعد الزواج.... فقال حسان: هل عرفت مغزاها...؟

فقالت: حقيقة لا أهتم بتفسير الأشياء ولا البحث عن مغزاها، فالحياة مثلها مثل الأرض التي نعيش عليها، دائرية، يختفي جزء منها ويظهر آخر خلال اليوم الواحد، فما ظهر لنا لا يمثل الحقيقة وما خفي لا يعتبر لغزًا، فإنك ترى وجهات النظر عن شيء واحد وعن شيء معين مختلفة من شخص لآخر، لأن ما تراه متغير ومن زوايا مختلفة...

اندهش حسان مما قالت زوجته ونظر إليها بإعجاب، وقال: هذه أجمل وجهة نظر سمعتها في حياتي رغم أن جملها معقّدة ويصعب عليّ استيعابها، ولكنها جميلة وقوية، وسر جمالها وقوتها أن مصدرها من إنسانة عاشت على الفطرة، ورأت الواقع الذي لم يره المتعلم.... أو من يدعي معرفة كل الأشياء المحيطة به...

وهو كذلك درس قيّم لي أنْ ليس كل من صمت كان جاهلًا...

وبالمناسبة لدي سؤال يحيرني وبما أن لديك وجهة نظر جيدة... لقد اشتركت في أكثر من مسابقة أدبية ولم أفز بواحدة منها رغم أن كل من قرأ لي أثنى على كتابتي...

نظرت سلمى إليه مبتسمة وقالت: أولًا أشكرك على مدحك لي، وهذا يدل على مدى علمك وثقتك بنفسك، ولو تسرعت في الإجابة فهذا لحبي للتحدث معك... واعلم

أنك فقط تحاول معرفة آراء الآخرين عن مواضيع تعرفها من باب المشاركة...

على كل حال... إنني أعتقد أن الفوز بأي شيء يعتمد على (العمل، و الشكل، و المناسبة، و الحظ)...

فالعمل والشكل هما من عمل الإنسان... وأما المناسبة والحظ فهما بيد القدر... نظر إليها حسان بإعجاب وقال: هل بإمكانك التوضيح أكثر؟...

أحست سلمى بالفخر والسعادة فلقد تحول الموضوع من استشارة إلى طلب النصيحة، وممن؟ مِن أحب شخص لديها...

فقالت: مثال على ذلك، وقد يكون مثالًا لا تحب أن تسمعه، ولكن انظر إليه كفكرة... لإثبات هذا الخليط...

امرأة تصنع مراوح اليد، شكل هذه المراوح جميل، والمناسبة أن هنالك احتفالًا تحت النخيل والذباب يزعج المدعوين... هذه البائعة أتت إليهم عارضة ما لديها، فالحظ هنا هو توقيت قدومها.

نظر إليها حسان طويلًا والابتسامة والدهشة تعبران عن مدى إعجابه بها وبما قالت... ثم قال: إنها نظرية لو أخذنا أول حرف من كل كلمة عمل، شكل، مناسبة، حظ، نجاح...

تصبح هذه العبارة: عِش.. منح...

ويمكن القول عِش الأمل وانتظر المنح... ثم قام من

مكانه وبدون أن ينظر إليها وهو يردد هذه العبارة عِش الأمل
وانتظر المنح.. عِش الأمل وانتظر المنح... وخرج من
داره، بينما وقفت سلمى تنظر إليه وهي تغمرها سعادة
عارمة.....

به مس

الشهر: نهاية فبراير

جلس شداد وسلمان وسالم إضافة إلى سعد يطلبون الدفء تحت أشعة الشمس في إحدى الفسحات التي خلت من النخيل، وقد تركت هذه الأرض عمدًا لكي تجمع فيها التمور، وكالعادة فحديثهم وشغلهم الشاغل هو النخيل، وبدأ ظهور ثماره..

وبينما هم على هذا الحال مر بهم حسان وبدون أن يلقي التحية عليهم وهو يكلم نفسه ويردد هذه العبارة بصوت خافت: (عِش الأمل وانتظر المنح)... وهو يحرك يديه ويبتسم ويتوقف تارة ثم يتابع السير...

فقام شداد وصرخ... حسان... حسان... فالتفت إليه حسان... من؟.. العم شداد؟.. وعاد إليهم يسارع الخُطى وألقى عليهم التحية وقبل رأس عمه شداد وعميه الآخرين سلمان وسالم... وألقى التحية على سعد...

فسأله عمه شداد: خير... خير... ماذا بك؟ لِم لم تُلق التحية علينا؟ ألم ترنا؟ وأعتقد أنك كنت تكلم نفسك؟ خير.. ماذا بك يا بني؟؟

فرد عليه حسان وقال: أنا بخير يا عمي... ولكن هناك موضوع يشغل بالي وهو ليس بالمهم...

استغرب شداد إجابة ابن أخيه وقال: موضوع يشغل بالك وليس بالمهم؟ كيف ذلك؟؟

ابتسم حسان ونظر إلى من حوله... ثم استأذنهم... ودعا سعد لمرافقته... وأخذه من يده وغادر...

عندئذ التفت شداد إلى سلمان وسالم، وقال: موضوع يشغل بالي... وليس مهمًا...؟ ماذا يقصد بذلك؟؟

إن هذا الولد غريب....

غريب الأطوار... وماذا يريد من سعد..؟ فرد عليه سالم وقال: هذا الشيء ليس بالجديد... فهذا طبعه...

وهذه نتيجة لحبه للكتابة والكتب، إنه مثل الشعراء تراهم دائمًا في شرود وكأن بهم مسًا...

عين حاسد

على سفح تلة تطل على الوادي جلس مطلق وزعل ابنا شداد وسلمان وهما ينظران صوب الوادي....

فقال زعل: انظر... إن الجميع يتحركون.. نساء.... وأطفالًا... ورجالًا... جميعهم يتحركون، حتى أعمامي وأبي ابتهاجًا من أجل حسان، إن هذا المنظر يذكرني بخلية النحل، الكل يعمل وهناك مستفيد واحد فقط...

إن حسان محظوظ... إن كلمة محظوظ لا تكفي... إن حظه موروث، إنه مثل نهر عظيم تكوّن من روافد متعددة...

لقد خلق حظه من تعاسة الآخرين.. إن حياته قصة حظ نسجت وجمعت كلماتها وشخصياتها منذ زمن بعيد....

فالبداية كانت موت أقرباء جدته من السيل لترث هي أموالهم ونخيلهم، ويتزوجها جدي رافد، وينجب منها عمي عطية فقط لتموت الأم ويقوم جدي رافد خلافًا لكل رجل أعرفه بكتابة جميع هذه الأموال باسم عمي عطية...

وما تركه لنا هو القليل كان جزء منه للعم عطية كإرث...

وتنتهي القصة بأن عمي عطية لم ينجب إلا ولدًا واحدًا هو حسان...

انظر كيف وصل هذا المال إليه... وهذا الحظ، ورغم بلوغه الأربعين عامًا يتزوج مرغمًا ليرزق ولدًا...

إنه نهر من الحظ.. أليس كذلك؟؟

نظر إليه مطلق بازدراء وقال: أولًا العم عطية فقد أمه دون أن يراها، وكذلك حسان فقد والديه دون أن يعيش معهما، أراك تنظر إلى الحظ من ناحية واحدة فقط..

ناهيك أن العم عطية هو من اهتم بتربية أبيك وأبي وعمي وعماتي وزواجهم ولم يناقشهم في الأمور المادية قط، وكذلك رفض أن يكتب شيئًا باسمه...

ولكن جدك رافد رفض واعتبر أن هذه الأموال تخص أمه وهو أحق بها...

قاطعه زعل وقال: أنت على نياتك، لقد كان عمك عطية مريضًا ولم يرزق إلا صبيًا واحدًا، لقد فعل ما فعل لضمان رعاية ابنه وليبقى أبي وأبوك وكل العائلة عمالًا لدى ولده، فكان بإمكانه تقسيم هذا النخيل بين إخوته بعد وفاة والده...

وهناك أمر آخر... لقد استثمر في المدينة ولديه أراضٍ ومبانٍ لا تعد ولا تحصى، كان وكيلها أو استغفر الله... أبوك...

إن دورنا هو خدمة حسان ونحن كعمال لديه...

فجأة وقف مطلق وصرخ.. كفى... كفى...

لا أسمح لك بأن تصف العم عطية بهذه الصفات ولا حسان، فلم أسمع من أبي وجميع أفراد العائلة إلا وهم يذكرون العم عطية بالخير... وهذا ما سمعته...

وأما من رأيته وتعاملت معه فهو حسان، فكان نعم الأخ وابن العم، فلم يرفض لي طلبًا قط، ولم يسيء إلى أحد، إن الجميع يحبونه ولا يرون ما تراه....

ولم أسمع في يوم من الأيام أنه سأل عن المال أو كان حريصًا عليه، إنه كان يرفض حتى مناقشة أبي إياه في ناتج المحصول ويرفض أخذ أي قرش منه....

اسمع لن أسمح لك بأن تسيء إليه بعد اليوم، وإن حدث ذلك فلن تكون لي ابن عم أو حتى صديقًا... سلام...

وترك زعل خلفه واتجه إلى الوادي، بينما جلس زعل صامتًا محرجًا ينظر إلى مطلق وهو يختفي بين النخيل...

القرار

أخذ حسان ابن عمه سعد إلى مجرى العين وطلب منه الجلوس وقال له: أريد منك مرافقتي إلى المدينة يوم غدٍ لأعطيك وكالة عن أملاكي في المدينة....فأنا أنوي السفر إلى أمريكا..

قال سعد: وكالة عن أملاكك؟ أمريكا؟ لماذا؟ وما الغرض من سفرك إلى أمريكا...؟

نظر إليه حسان وقال: أتعلم يا سعد أن ابنة عمك سلمى عبقرية نعم عبقرية...

قاطعه سعد.. أسألك ما هو سبب سفرك إلى أمريكا، وتقول ابنة عمك عبقرية، إنني أحيانًا أشك فيك، أشك أن بك مسًا...

مثل ما يقول أبي وأعمامي، فأنت دائم الشرود، إجابتك متقطعة... وغالبًا لا تجيب عن الأسئلة مباشرة... وإن أجبت فإجابتك ناقصة ومبهمة...

واستوقفه حسان وقال: أتشك في قدراتي العقلية يا سعد، وأنت صديقي وأقرب الناس إلي؟ ولكن لا يهم ولا أريد تفسيرًا وعلى كل حال الموضوع هو أن لدي مشروعًا

يحتاج إلى أموال كثيرة، وعندما أصل إلى أمريكا سوف أتصل بك، فقال له سعد: وما هو هذا المشروع؟؟

فأجابه حسان: سوف أخبرك ولنجعل الحديث عنه ومناقشته يوم غدٍ ونحن متجهون إلى المدينة...

وإلى الملتقى.. موعدنا غدًا الساعة السابعة صباحًا.

سؤال

في بيت حسان كانت سلمى تُعدّ حقائب السفر عندما طرق الباب فتركت سلمى ما بيدها واتجهت إلى الباب وفتحته فإذا بأبيها، فأدخلته فسألها عن زوجها فورًا، فقالت: لقد خرج، فقال: هل تعلمين أن زوجك يريد السفر إلى أمريكا؟، فقالت: نعم أعرف.

فسألها أبوها عن السبب وراء تلك الرحلة؟ فأجابت بأنها لا علم لديها ولم يخبرها زوجها، فقد سألته ولكن كالعادة، عندما لا يرغب في الإجابة عن سؤال ما يبتسم ثم يغير الموضوع.

عندئذ قال أبوها إن زوجك غريب الأطوار، لقد أخبرني أخي شداد أنه أتى إليه واستأذنه للسفر، ولم يستطع شداد أن يحصل على سبب قراره.

فقالت سلمى: أعتقد يا أبي أن الغرض من سفره هو أمور تخص الكتابة والكتب، فقد لاحظت أن حسان لا يخبئ عني شيئًا عدا الأمور التي تخص قصصه.

وقد فهمت من تلميحه أن الموضوع متعلق بالكتابة والكتب، ومن غير المستحب مناقشته، فهو يدور حول

الخيال ولا يمكن مناقشة الخيال لدى مجتمع عملي يؤمن بالواقع وينظر إلى الكتابة على أنها مضيعة للوقت.

نظر إليها أبوها برهة ثم قال: نعم يا ابنتي ثم أردف ألا تشاركينا في هذا الرأي؟ فقالت سلمى: أي رأي؟

فأجابها أبوها: أقصد أليست الكتابة والقصص التي شغل حسان نفسه بها مضيعة للوقت؟

فقالت: إن حسان رجل طيب ومحبوب، وكافي الناس شره، لم أره يومًا يتحدث عن أحد أو يعيب أحدًا.

فتبسم أبوها وقال: نعم يا بنيتي صدقتِ، والآن أستأذنك، وبلغيه سلامي، وخرج.

ووقفت سلمى عند الباب وبدأت تتساءل عن سر ابتسامة أبيها.

المغادرة

في الساعة السابعة إلا ربعًا صباحًا خرج سعد من منزله حاملًا حقيبةً في يده واتكأ على جذع نخلة على باب داره منتظرًا حسان الذي ما لبث أن وصل بسيارته وأخذه وغادرا القرية.....

ولما انتهيا من طريق القرية المزعج والمليء بالمطبات واستقرت السيارة على الخط العام وولى ذلك الضجيج بادر سعد إلى سؤال حسان: والآن أريد أن أعرف الغرض من السفر إلى أمريكا. وكذلك ما هو الغرض من إعطائي الوكالة؟

فقال حسان: من حقك معرفة السبب ولكن لدي طلب واحد، وهو عدم محاولة إقناعي بالعدول عما أنوي القيام به أو حتى التلميح أو استعمال المنطق، أو الرجوع إليه، فما أنوي القيام به لا يمكن قياسه بالمنطق.

فنحن معشر الكُتاب «آخذون مقلب» في أنفسنا، فنحن نجلس مع أنفسنا أي إن الواحد يحدث نفسه في كل شيء، المهم وغير المهم وخصوصًا غير المهم، هذا وأقصد بغير المهم أن هذا الموضوع سواء يخصنا أو يخص غيرنا،

ويبدأ بتحليله وتفكيكه ونوجد الحلول، وقد يأخذ هذا الشيء منا أيامًا وليالي...

وهو يمثل متعة لنا... اجلس فقط وقلب عينيك وعش مع نفسك، وأخيرًا نطبق الحلول، فنصنع الشخصيات ونوجد المناسبات.. وغالبًا ما تكون النتائج إيجابية.

فعملنا فلسفي صادر من خبرات شخص واحد ووجهة نظر شخص واحد، إنه علم قديم، إنه أساطير، هل سمعت باسم فلاسفة غير فلاسفة الإغريق، أرسطو، سقراط، وزملائهما.

لا يوجد، نحن نسمع بالفلاسفة الآن ولكن لا نذكر أسماءهم لأن علمهم انتهى، لقد أنهاه التطبيق، لذا فإنك ترى الفلاسفة بأشكال جديدة، ومواضيعهم جديدة، إنهم الروائيون والقصاصون الذين تركوا الأشياء العلمية التي تحتاج إلى إثبات وذهبوا إلى أمور أخرى...

الحلول لا تحتاج إلى جهد أو تطبيق أو منطق....

عندئذ صرخ سعد وقال: كفى، كفى، يا حسان، إنك تعيب على الناس كثرة الحديث، وأنت عندما تتكلم لا تسكت، لقد أنسيتني الموضوع الذي سألتك عنه؟ المهم أني فهمت قصدك، لن أنصحك ولن أوقفك.. أخبرني فقط ما هو السبب من وراء السفر والتوكيل؟ بكلمات وجمل بسيطة فقط، ارحمني أرجوك.

ضحك حسان وقال: صدقت، إنني أكره أن يكثر على

أحد الكلام، فالكلام هو عملي، هل سألتك يومًا أو جادلتك في مواضيع النخيل، فهو ليس تخصصي، على كل حال ما دمت وعدتني بعدم التدخل، فالموضوع هو كالتالي:

أتتذكر عندما قلت لك إن موضوع الحبارى هو السبب في زواجي.. قاطعه سعد: نعم أتذكر.. ولكن وقتئذ لم أفهم ما قصدت..

قال له حسان: عندما كلمني العم سالم عن الحبارى وماذا تصنع بعنقها وتهتز كأنها في حالة سكر، فكرت في أمري، لقد حاولت كثيرًا نيل أي جائزة محلية لقصصي، ولكن لم أنجح..

لذا استشففت من هذه القصة أن العمل لوحده لن ينجح بدون لفت انتباه الشخص المعني، وقد نسيت هذا الموضوع حتى عادت الفكرة عندما سألت سلمى من باب المجاملة بناءً على رأي قالته لي استحسنته عن كيفية الفوز بجائزة ما، فقالت جملة دفعتني إلى الإسراع وتنفيذ هذه الفكرة.

نظر إليه سعد وقال: وما هي الجملة التي كانت السبب في الإسراع لتنفيذ هذه الفكرة؟

صمت حسان قليلًا ثم قال:

(العمل + الشكل + المناسبة + الحظ) = النجاح..

إنها معادلة.... وقد قالت إن ثمة أشياء بيدك

(العمل والشكل) وأخرى ليست بيدك وهي (المناسبة والحظ)، لذا أخذت من كل كلمة حرفها الأول فأصبحت بعد التعديل...

(عِش الأمل وانتظر المنح)..

ابتسم سعد وقال: والآن هذه النظرية تحتاج إلى التطبيق، فأخبرني رحم الله والديك عنها.

اعتدل حسان ورفع رأسه وقال: سوف أقوم بتسويق نفسي بنفسي، سوف أرقص وأهتزّ وألوي عنقي وأصدر أصواتًا مثل الحبارى، سوف أذهب إلى أمريكا لأتعاقد مع شركة في نيراسكا تدعى كليفر نوتز، عملها النقد الأدبي، لأقوم بتسويق قصصي وبأموالي الخاصة.

فقاطعه سعد، ماذا تقول؟؟

مصاريف إضافية وضياع فلوس إضافية، هل جننت؟ عندئذ أوقف حسان سيارته وقال: سعد أرجوك، أرجوك، لا تناقشني ولا تتحدث عن الفلوس، لقد وعدتني من قبل، لا أريد العقل، لا أريد المنطق، كل إنسان لديه أمنية.. إن أمنيتي أن أتوج عملي بجائزة، أمنيتي أن أجد لكتاباتي صدًا بين الناس، أن يذكرني التاريخ.

لقد ذهبت الفلوس والنفوس وبقيت أسماء أناس حية لم تمت، إنني في حاجة ماسة إلى شيء مثل ذلك، ولن أمانع أن أعيش فقيرًا طوال عمري، أفهمت؟

والآن اصمت وتمتع بالسكون، فهناك متسع من الوقت لتنعم بالهدوء، فالمسافة المتبقية عن المدينة هي مائتان وثلاثون كيلو مترًا.

بداية البحث

وصل حسان وسعد إلى المدينة، وقام حسان بإعطاء توكيل لسعد بكل ممتلكاته، ثم قام بترتيب أمور سفره وسافر إلى مدينة لنكولين في نبراسكا، وأقام في أحد الفنادق..

ومن الفندق قام بالاتصال بـ (كليف نوتز) إحدى الشركات العالمية التي تقوم بنقد الأعمال الأدبية، وطلب موعدًا مع المسؤول وهو (استون بيك) وكان موعد المقابلة بعد أسبوع..

لذا قام حسان باستغلال هذا الوقت في زيارة المكتبات هناك وقام بشراء بعض الروايات ومشاهدة معالم المدينة وضواحيها.

وعندما وصل في الموعد وجد الأستاذ (استون بيك) في انتظاره، فحياه وطلب منه الدخول في صلب الموضوع فالأستاذ (استون بيك) لديه فكرة عن الموضوع عن طريق مدير مكتبه، لذا أراد من حسان الدخول في صلب الموضوع والتفاصيل.

فقال حسان موجهًا كلامه للأستاذ (استون بيك): إنني معجب بما تقدمونه من أعمال نقدية ناجحة لذا فإني اخترت

هذه الشركة لإيجاد مشروع يخصني، وأريد منكم الإشراف عليه، وهو بشكل مختصر لدي رواية اسمها (في مكان واحد ولكن!).

إنني أريد أن تقوم الشركة بترجمة الرواية إلى اللغات العالمية إضافة إلى لغات البلدان التي لديها كثافة سكانية ولغات الدول المتطورة التي لا تتحدث الإنجليزية أو الفرنسية أو الأسبانية مثل السويدية... الخ.

أن يكون التصميم موحدًا وأن يوضع لكل نسخة من لغة معينة جائزة، عبارة عن (100,000) دولار مع ميدالية تحمل شعار شركتكم، ومع مراعاة كون اللغة كلما كانت أكثر انتشارًا قدمت جوائز أكثر، وأقصد لكل بلد.

أن تقوم لجنة من قبلكم باختيار عشرة من جميع الفائزين بالجائزة حول العالم، ليتنافسوا في جائزة أفضل تعليق، ويحصل المتسابق الأول على جائزة مالية بقيمة (300,000) دولار، إضافة إلى درع من الذهب تحمل شعار شركتكم.

وأخيرًا يجب أن تبدأ هذه المسابقات وتنتهي قبل الإعلان عن قبول المتسابقين للمسابقات العالمية، التي تعنى بالأعمال الأدبية من قصة ورواية.

نظر الأستاذ (استون بيك) إلى حسان ثم قال: وما هو الهدف من كل هذا؟

فأجاب حسان: إنها فكرة خطرت على بالي، المهم هل أنت موافق على تنفيذها؟

نظر السيد (استون بيك) إلى مدير مكتبه ثم قال: لكنك سوف تحتاج إلى مبلغ ضخم لهذه المسابقة، فأجابه حسان قائلًا: إذا كان المال عائقًا فنحن إذًا متفقون، وسوف أرسل إليك محاميًا لكي ينهي الإجراءات معكم، ولكن بقي هناك أمر مهم، فقال: ستونبك: وما هو؟ فقال حسان: حقوق هذه الفكرة أو المشروع هو لي.. فقال ستونبك: نعم هو لك بلا شك.

وخرج حسان من مكتب ستيك وبحث عن محام مشهور وأبرم العقد، وقد كان أحد بنوده أن يدفع حسان مقدمًا مستحقات شركة (كليف نوتز) ودور النشر والطباعة وشركات الإعلام، وفي المقابل سوف تكون قيمة جميع المبيعات له.

وبدأت الشركة بترجمة الرواية، وتم اختيار الغلاف المناسب لها والاتفاق مع جميع دور النشر في العالم على طبعها وبدء دعاية عن المسابقة في جميع الوسائل الإعلامية في العالم..

وما أن خرجت هذه الرواية إلى الأسواق حتى تلقفتها الأيدي طلبًا للجائزة، مما دعا دور النشر في العالم إلى طلب السماح من الشركة بإعادة طبعها بسبب زيادة الطلب عليها، وبدورها قامت الشركة بعقد اتفاقية جديدة مع محامي حسان على أن يُسمح لهذه الشركات بطبع الرواية مقابل الحصول على 40 % من المبيعات، تنال دور النشر منها 30 % وكليف نوتز 10 % والمتبقي لحسان.

وكانت المفاجأة لشركة كليفر توتز أن هذه الفكرة درت أموالًا عليها إضافة إلى ما أخذته من حسان، وأن نصيب الأسد كان لحسان الذي كانت أرباحه خيالية، وأن ما أنفقه على هذا المشروع لا يذكر مع ما اكتسبه منه.

مما دفع الشركة إلى الإسراع في التوقيع معه على أن تكون راعية لجميع أعماله الأدبية، وتشريفًا له فقد طلبت منه الشركة تسليم الجائزة، التي حملت اسم الشركة إضافة إلى اسمه (حسان آند كليف)...

وقامت وسائل الإعلام بتغطية هذا الحدث وأصبح اسم حسان معروفًا في جميع الدول، كما قُرئت روايته (في مكان واحد ولكن!) في جميع قارات العالم.

وسجلت لدى، جينيس، بأنها أكثر رواية في العالم مبيعًا، لقد بيع أكثر من (650) مليون نسخة بلغات العالم أجمع.

التوتر

ومرت الأيام و الأشهر تباعًا وجاء اليوم الموعود الذي انتظره حسان منذ اليوم الأول، والذي عرف فيه الكتابة... (إنها الجائزة الأدبية)..

لذا ذهب حسان إلى السيد (استون بيك) وطلب منه الدخول والمشاركة في كل هذه المسابقات بروايته.

عندئذ سأله (استون بيك) عن الغاية والقصد من المشاركة لأن في هذه الخطوة مخاطرة، فقاطعه حسان قائلًا: أتذكر عندما سألتني ما هي الغاية من هذه الفكرة؟

إن جميع ما قمت به من أجل هذا اليوم، فنظر إليه ستونبك وقال: إذًا سنقوم بعمل دعائي قبل المشاركة لمزيد من الضغط على القائمين على هذه المسابقة...

نظر إليه حسان وبدا عليه التوتر وهو يقلب كفيه وقال له: إن عملك هو النقد، إنه مصدر رزقك...

أتعتقد أن الرواية جيدة، أقصد شخصياتها، مغزاها، حكايتها..

اقترب منه استون بيك وجلس أمامه وقال: أعلم أن

هذا السؤال يشغل كل أديب، وأن هذه المهنة هي الوحيدة التي يريد أصحابها أخذ رأي الناس فيها.

وهذا هو أكبر عيوبها، فالكاتب عندما يكتب عن شيء فهو يراه ويتعمق فيه ويعبر عنه بطريقين، طريق بدون وعي، وهذا هو المعدن الثمين، وطريق آخر بوعي وهذا ما نسميه بالمعدن الزائف رغم أنهما يحملان نفس اللون والشكل.

ولا يعرف ذلك إلا الخبير ولا أقصد بالخبير هنا الناقد، ولكن أقصد من يعاني المشكلة هو الخبير.

لذا نحن عندما نقدم نقدًا أدبيًا فإننا ندرس حياة الكاتب ونبني نقدنا على سيرته الذاتية وعلى أسلوب حياته، ونقدم استنتاجاتنا، ولكن هل الاستنتاج صحيح؟؟، لا أعلم، وكما تقولون أنتم بالعربية (المعنى في قلب الشاعر).

فقد يُعطى النص الأدبي أكثر مما يستحق من شخص معين أو ناقد معين أو يهضم حقه من ناقد آخر لأنه يرى ما لا يراه الكاتب، وقد يفسر أمرًا لم يقصده الكاتب.

لذا في رأيي أن على الكاتب أن يقتنع بما يقول، ويرى أن أعماله خاصة به، لا يلزم أحدًا بمشاركته فيها، أعتقد أني أطلت عليك.

وعلى كل حال أتمنى لك التوفيق، وكفاك توترًا.

انظر حولك فالأمور تحدث مغايرة لما نخطط لها، لقد قدمت هذا المشروع كجزء لمخطط لنيل جائزة لم تظهر نتائجها بعد.

بينما حصلت على المال والشهرة واستفادت شركتنا ودور الطباعة والنشر في العالم كذلك عاش الملايين في العالم حلم الفوز بالجائزة.

لذا علينا التركيز على الشق الأخير وترك أمر الجائزة، فلديك اثنتا عشرة رواية، يعني اثنتى عشرة مسابقة كل عام.

الأحجية

قامت شركة كليف نوتز بالاشتراك في المسابقات الدولية للأدب برواية (في مكان واحد ولكن!)...

وعاد حسان إلى وادي الخير، وحجز نفسه في كوخ على رأس جبل يطل على الوادي فهو يعيش في مرحلة قلق ولا يريد أن يراه أحد على هذه الحال.

ومرت الأيام ثقيلة عليه، وكلما اقترب وقت إعلان النتائج ازداد قلقه.

وأخيرًا خرجت النتائج الواحدة تلو الأخرى ولم تفز هذه الرواية بأي جائزة تذكر، فأصيب حسان بإحباط كبير واعتزل الجميع ولم يعد يشتهي الطعام..

ولم يعد يرغب في مقابلة زوجته أو ابنه، وعندما علم سعد بهذا الأمر جاء إليه ووجده في حالة مزرية، فقد شحب وجهه ونحل جسمه، فجلس أمامه وقال: ما بك؟

فرد عليه حسان: ألم تعلم؟؟ لقد خسرت كل شيء، لم يعد لي هدف أصبو إليه، لقد حاولت وحاولت ولم أنجح.

فجذبه سعد إليه وبدأ بهزه قائلًا: ما بك؟؟ أفق،

أفق، انظر حولك، لقد أنعم الله عليك بالمال والصحة والولد وفوق ذلك العالم بأسره سمع باسمك وقد قُرئت رواياتك، فماذا تريد بعد ذلك؟

إنك بحماقتك هذه تذكرني بقصة سمعتها، وأرجو أن تسمعها، فقد كنت تتكلم ونحن آذان صاغية لك، وعليك الآن أن تسمعنا.

يحكى أن رجلًا معتوهًا يشكو الفقر وأخبره أحد أصدقائه أن الله عز وجل موجود فوق أعلى هضبة وأن هذه الهضبة تحتاج إلى مسيرة أشهر.

فقرر الرجل الرحيل، وهو في طريقه صادف أسدًا وهجم عليه الأسد، فلاحظ الأسد أن الرجل يضحك.

فسأله الأسد عن سبب ضحكه وهو يواجه الموت الآن؟ فقال الرجل: إنني أعبر عن سعادتي، فأنا ضقت من حالي والأكيد أن الموت سوف يريحني.

فسأله الأسد عن وجهته، فقال: إنني ذاهب إلى أعلى هضبة في الأرض لأقابل الله.

فسأله الأسد: ولماذا؟ فقال: أريد منه أن يرزقني ويعطيني مالًا لأصلح حالي، فقال الأسد: سوف أتركك ولكن أتمنى أن تسأله عن أمري، فأنا آكل ولا أشبع، وهذا يرهقني، فقال له الرجل سوف أسأله، وانصرف...

وبعد مسيرة أسبوع وصل إلى بستان وجلس تحت أشجاره ليرتاح، فأتاه صاحب المزرعة وبيده منجل وهدده بالقتل وجز رأسه إن لم يخرج، ولكن المزارع لاحظ

أن الرجل لا يتحرك ولم يبد خوفًا منه فاستغرب أمره ورباطة جأشه..

فسأله: ألم أرهبك؟ فقال الرجل: في الحقيقة لا، فأنا كرهت الحياة، فلم تعد تهمني، لذا فالموت أرحم لي... فسكت ذلك المزارع ثم قال: وإلى أين أنت ذاهب؟

قال: سوف أذهب إلى الله لأسأله أن يصلح حالي... فقال له المزارع: إذًا أرجوك أن تسأله لماذا أشجاري لا تنتج ثمارًا؟ فهي تنمو وتخضر وتزهر ولكن لا تثمر، فقال له: سوف أسأله.

ثم مضى في طريقه وبعد مسيرة عشرة أيام صادف بلدة أمامه فدخلها ليلًا فقبض عليه الحراس وأخذوه إلى الملك، وذلك لأن البلدة تعرضت لسرقة، وبما أنه غريب عن البلدة فقد اشتبهوا فيه..

وعندما وقف أمام الملك، سأله الملك: ماذا أتى بك إلى البلدة ليلًا؟ فقال: إنني عابر سبيل وإنني ذاهب لمقابلة الله، فرأى الملك أن هذا الرجل إنسان بسيط ودرويش فسأله: وماذا تريد؟ فقال أنا رجل فقير معدم وأريد من الله أن يمن عليّ، فقام الملك من مكانه وأخذه بعيدًا عن الحرس وقال اذهب ولكن اسأله لماذا لا تستقيم الأمور لي، وودعه الملك وانصرف الرجل.

وأخيرًا وصل الرجل إلى الهضبة فوجد على قمتها صومعة، فطرق بابها وطلب من الراهب شربة ماء، فسقاه الراهب ثم سأله عن سبب مجيئه إلى هنا؟

فقال الرجل: أتيت لأقابل الله وأشكو له حالي وفقري، وأخبر الراهب بأن أحد أصحابه قال له بأنك لن تكلم الله إلا إذا وصلت إلى أعلى هضبة على وجه الأرض، فابتسم الراهب وقال له: يا بني الله عز وجل موجود في كل مكان لا يخفى عليه شيء.

فقال الرجل: ولكن الفقر أرهقني وأريد أن أحدثه ليصلح حالي، فقال له الراهب ارجع وادع الله وأنت صادق في دعائك وسوف تجد رزقك أمامك.

فقال الرجل: أدعوه من أي مكان؟؟ قال الراهب: نعم من أي مكان، فهو يراك ويسمع كلامك.

فصمت الرجل قليلًا وأخذ يحك رأسه ثم نظر إلى الراهب وقال: ولكن هناك مشكلة، فقال له الراهب: وما هي؟

فقال الرجل: إن هناك أشخاصًا طلبوا مني أن أكلمه في حاجاتهم وهم ينتظرون الإجابة.

عند ذلك ضحك الراهب وأخذه إلى الصومعة وقدم له الطعام وطلب منه إخباره عن طلبات هؤلاء الأشخاص.

فقصّ الرجل على الراهب جميع ما حصل معه منذ أن خرج من قريته.

فقال له الراهب: قل للملك إن الأمور لم تصلح معك لأنك أنثى، وأنك تتعامل مع الناس بغير ما جبلك الله.

وأما المزارع فقل له: إن باطن أرضك بها كنز، ولا يمكن أن ينمو كنز فوق كنز.

وأما بالنسبة إلى الأسد فقل له إن علاجك من هذا الجوع أن تأكل لحم رجل غبي من بني آدم.

فسكت الرجل برهة ثم قال: الآن أستطيع العودة، وخرج ثم وقف وسأل الراهب وقال: آه نسيت وماذا عن موضوعي؟

فتبسم الراهب وقال: ألم أقل لك إن رزقك أمامك، فرفع الرجل رأسه وحكه ثم تحرك وودع الراهب.

ومضى في طريقه، ولما وصل إلى الملك أخبره الخبر، فجره الملك من يده وأخذه إلى إحدى الغرف التي في القصر ووضع العمامة وأزال ما على وجهه مما كان يضعه من لحية وشارب مستعار وإذ به امرأة في غاية الجمال..

وقالت نعم أنا امرأة وأبي لم يرزق ذكرًا وبما أن النظام يتطلب بأن يكون خليفة الملك رجلٌ فقد أخبر أبي الجميع بأنه رزق ولدًا وألبسني لباس الصبيان لأرث من بعده، وبما أنك عرفت هذا السر فلماذا لا تتزوجني وتعينني؟

فقال الرجل: لا، فسألته: لماذا وأنت فقير ووحيد ومعدم؟

فقال: لن أكون فقيرًا بعد اليوم فرزقي أمامي.

وخرج من عندها، ولما وصل إلى المزارع أخبره بما سمعه من الراهب مسحاته وقام يحفر الأرض وإذ بأرضه ملأى بالكنوز من الذهب والفضة والألماس فقام يرقص ويهلل وأسرع وضم الرجل وقال: إن لدي ثلاث بنات فلتختر أي واحدة منهن لتتزوجها فالخير أتى بقدومك ولن أجد رجلًا بمثل طيبتك، فقاطعه الرجل وقال: لا، لن أبقى هنا إنني ذاهب..

فقال له المزارع: إلى أين؟ فأنت فقير ومعدم وهذا الخير كثير، ابق هنا وكفاك ترحالًا، وابنِ لك بيتًا وأسرة، فقاطعه الرجل قائلًا: إنني ذاهب فالرزق أمامي وغادره حتى وصل إلى عرين الأسد وقد أجهده السير.

فأسرع إليه الأسد سائلًا إياه: خيرًا! بشرني هل وجدت لي العلاج؟

فقال الرجل: نعم، نعم، ولكني مرهق أعطني فرصة ألتقط فيها أنفاسي.

وعندما استراح سأله الأسد ماذا حصل معك في الرحلة؟ فأخبره الرجل بقصة الراهب.. والملك.. والمزارع.. فسأله الأسد: وماذا قال لك الراهب عن علاجي؟ فقال له الرجل: إنه يقول إن علاجك أن تأكل لحم أغبى إنسان من بني آدم.

فضحك الأسد وأخذ يتلوى من كثرة الضحك، ثم توقف وقال: أعتقد أنني أراه، إن علاجي أمامي، إنه بين

يدي.. وتقول أنك رفضت الزواج بالملكة ورفضت مشاركة المزارع في الكنز والزواج بإحدى بناته، والسبب ماذا.

نظر إليه الرجل وقال: قلت لك إن الراهب قال رزقك أمامك

فأخذ الأسد في الضحك مرة أخرى ثم توقف وكشر عن أنيابه وقال: ألم تعلم أنك أغبى رجل من بني آدم، وهجم عليه والتهمه.

وصمت سعد قليلًا ثم قال ما رأيك في هذه القصة؟؟ فقام حسان من مكانه ونظر إلى سعد وقال له: قصة؟ إنها ليست قصة؟ إنها أحجية.

وتحرك وخرج من الكوخ فتبعه سعد وقال له: وما الفرق؟؟ فقال حسان: هناك فرق كبير يا سعد.



ISBN 978-614-404-216-8
9 786144 042168
نادي الباحة الأدبي
www.adbialbaha.com